القسم السادس
بنات النبي محمد ﷺ

عددهن وأسماؤهن:

كن أربعاً: زينب الكبرى، ثم رقية، ثم أم كلثوم، وآخرهن فاطمة الزهراء رضي الله عنهنَّ جميعاً.

والـدهن:

أما أبوهن فسيد الخلق أجمعين، محمد بن عبد الله ﷺ.

أمـهنَّ:

وأما أمهن فخديجة بنت خوليد، سيدة نساء قريش، وسيدة نساء العالمين.

فأعظم به من نسب! ما أكرمه! وأكرم به من شرف! ما أسماه!.

١ ـ زينب الكبرى رضي الله عنها:

إنها أول حمل لسيدة نساء العالمين، من سيد رجال العالمين، ما إن شعرت به السيدة خديجة حتى غمرتها الفرحة، وانتابها إحساس بالفخار، لم تعرف له مثيلاً من قبل.

وحين أسرَّت إلى الحبيب بسرِّها، ألفت فرحته أكبر، وسروره أجل: فالمولود القادم سيكون بكره، وسيغمره بحنانه الفياض لأنه لم يذق لحنان الأبوَّة طعماً بسبب يتمه، ولم ينل من عطف الأمومة قدراً كافياً لأن أمه التحقت بأبيه على عجل، وتركته لطيماً[1].

---

(١) اليتيم: من فقد أباه، والعَجِيُّ من فقد أمه، واللطيم: من فقد أبويه.

ولادتـها:

ومرت الأيام بسرعة، وأزفت ساعة المخاض، ووضعت الطاهرة «خديجة» طفلة حسناء كأنها كتلة من نور، وشكر الوالد لربه عطاءه وأثنى على كرمه، بسلامة الوالدة، وسلامة الصغيرة، ثم أخذها بين يديه الشريفتين، وضمها إلى صدره الرحيم، وودَّ لو أطبق عليها أضلاعه، وطبع قبلة على وجهها الصغير ضمنها أسمى معاني الحنان.

ما أسعدك أيتها الصغيرة! ومن يرقى إلى شأو بنت محمد ﷺ وخديجة أم المؤمنين؟ وأسمياها «زينب». ومن ذا سيكون أسعد منك، وأنت ستتربين في بيت النبوة الذي يُذكر فيه اسم الله بارئك آناء الليل وأطراف النهار؟ ومن ذا الذي يذكر اسم الله أكثر من والديك؟ كانت زينب بأمها أشبه، وأخذت تكبر، وملامحها تظهر، أكثر فأكثر، كلما مرت الأيام زادت وضوحاً وجمالاً، حتى بلغت سن الزواج.

خطبة ابن خالتها لها:

ومن هذا السعيد الذي سيحظى بأطهر فتاة لتكون زوجاً له وأماً لأولاده؟ وتقدم ابن خالتها «هالة بنت خويلد»، وهو «أبو العاص بن الربيع لخطبتها؛ وكان أفضل رجال مكة شرفاً ومالاً، وأفضلهم حسباً ونسباً، فيلتقي نسبه من جهة أبيه مع النبيّ ﷺ عند عبد مناف، ومن جهة أمه مع زينب خطيبته عند جدها الأدنى خويلد.

وفوق كل ذلك، كان كريم الشمائل، نبيل الخصال، حتى لقبوه بالأمين، كما لقبوا محمداً قبل البعثة بذلك، وهو يقف في الصف الأول من تجار مكة لما عرفوا من أمانته، وخبروا من ثقته.

إن أم زينب «خديجة» موافقة وراغبة، لأن العريس ابن أختها وهي على دراية بخلقه، ومعرفة بمجده، وهذا يمهد السبيل أمامه لنيل موافقة والدي العروس.

وجاء «أبو العاص» مع أهله إلى منزل رسول الله ﷺ ليخطب «زينب». وكان رد رسول الله ﷺ متئداً فقال: «إنه نعم الصهر الكفء»! ولم يحسم الأمر من عنده، لأنه يريد أن يسمع رأي ابنته، قبل أن يعلن موافقته.

مشاورة النبيّ ﷺ لها في زواجها:

ودخل المعلم الكبير، والأب الرحيم على ابنته، وسألها: «أي بنيتي زينب! إن ابن خالتك أبا العاص بن الربيع جاء لخطبتك».

لكن العروس لم تنبس ببنت شفة، وأطرقت رأسها من شدة الخجل، ولزمت الصمت. فالتفت رسول الله ﷺ إلى زوجته «خديجة» وأنبأها بموافقته الصريحة، لأن سكوت «زينب» كان آية على رضاها بهذا الزواج.

وسعدت مكة كلها بهذا الزواج الميمون، وعم الفرح بيوتها وأحياءها.

وآن لزينب أن تغادر البيت الذي تربت فيه إلى دار زوجها، ووقف والداها يودعانها، وفي العيون عبرات، وفي القلوب دعوات، أن يكلأها الله برعايته، ويمنحها الهناء والتوفيق في حياتها الجديدة، ويمكنها من توفير السعادة لزوجها، وتأمين أسباب الهناء.

كان أبو العاص يتغيب عن زوجه لدواعي متابعة أعماله وتصريف شؤونه، ولكنها كانت دائماً حاضرة في فكره لا تبرحه، ويناجيها بأشعاره فتقول:

ذكرت زينب لما وركت أرما ... فقلت سقي لشخص يسكن الحرما
بنت الأمين جزاها اللّه صالحة ... وكل بعل سيثني بالذي علما

وأخذ الزوجان الحبيبان يرفلان في حلل السعادة، وأسبغ الله عليهما نعمته، فأنجبا طفلين «علي بن أبي العاص» و«أمامة بنت أبي العاص»، فكانت فرحتهما كبيرة، وقد أصبحت أمامة زوجاً لعلي بن أبي طالب بعد وفاة خالتها فاطمة الزهراء رضي الله عنهم.

وبينما كان أبوالعاص في سفره لمتابعة تجارته في بلاد الشام، وبينما كان رسول الله ﷺ يتحنث في غار «حراء» دعته السماء لحمل أخطر أمانة، والنهوض بأعباء الرسالة التي اختازه الله دون خلقه وشرَّفه بنقلها إلى العالمين؛ وجاءه جبريل مبشراً له بأنه رسول الأمة، والمكلف بإخراجها من الظلمات إلى النور.

وانقلب رسول الله ﷺ إلى بيته، إلى أمينة سرِّه «خديجة» رضي الله عنها لينشد لديها العون ويلتمس المساعدة لأداء المهمة الجليلة التي أُنيطت به وأوكلت إليه.

ولم تكن «خديجة» لتخيب ظنه، وتخزيه، بل سارعت إلى نصرته، وآمنت بما قال وصدقته وشدت أزره قائلة: «الله يرعانا يا أبا القاسم، أبشر يا ابن العم واثبت، والله لا يخزيك أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتؤدي الأمانة، وتحمل الكل، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق». وقعت كلمات خديجة على رسول الله ﷺ موقعاً حسناً، فكانت برداً وسلاماً لنفسه، واطمئناناً لقلبه، لأنها صدرت عن أقرب الناس إليه، وأشدهم حباً له.

وذُهلت «زينب» لهذا الخبر، وتزاحمت الأفكار في رأسها، ولم يقطع تفكيرها إلا سؤال أختها فاطمة رضي الله عنهما: «أوَما يسرّك يا أختي أنك بنت نبي هذه الأمة؟». فردت زينب على الفور: «أجل والله يا فاطمة، وأي فتاة لا يزدهيها مثل هذا الشرف، لكني قلقة مما سمعت من قول خالي «ورقة بن نوفل» ليكذبن أبي، وليؤذين، وليخرجن، وليقاتلن».

وآب «أبو العاص» إلى زوجه من سفره، وأخذ يسألها عن صحة الشائعات التي يتناقلها عن دعوة أبيها إلى دين جديد يخالف فيه دين آبائه ويسفِّه آراءهم.

ولكن زينب أكدت لزوجها أن ما سمعه حقيقة وليس بشائعات، وأن الوحي بدأ ينزل على أبيها بأمر الله الواحد الأحد، وأنها وأمها وأخواتها دخلن في الدين الجديد.

رفض ابن العاص الدخول في الإسلام:

فرد عليها بقوله: فعلتها إذا؟ فقالت: ما كنت لأكذب أبي، وهو الصادق الأمين كما قد علمت. ثم راحت زينب تهيب بزوجها ليدخل في دين الإسلام، وينبذ عبادة حجارة لا تضر ولا تنفع، ولا تبصر ولا تسمع، كما فعل من سبقه كأبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب، وابن عمه عثمان بن عفان، وابن خاله الزبير بن العوام. وأخذ «أبو العاص» يفكر فيما سيقوله أهله وعشيرته إذا سمعوا أنه ترك دين آبائه، واتبع دين زوجه، ثم قال لها: إن أباك ليس عندي بمتهم، وما يسوؤني أن أكون

وإياك في شعب واحد، لكنني أكره لك أن يقال: إن زوجك خذل قومه وكفر بدين آبائه إرضاء لامرأته.

وسعرت قريش حربها ضد النبيّ الكريم ﷺ، وأججت نار عداوتها له، وألحقت بأتباعه ألوان العذاب والتنكيل، واستلبت أموالهم، وأجلتهم عن ديارهم، ثم فرضت عليهم حصاراً شديداً ومقاطعة رهيبة، دونت بنودها في صحيفة علقت على باب الكعبة.

وخرج المؤمنون مع رسولهم إلى شعب أبي طالب بظاهر مكة، واستمر الحصار عليهم ثلاث سنين، ثم مزقت الصحيفة، ونزلت برسول الله ﷺ فجيعتان: الأولى موت عمه أبي طالب، والثانية رحيل الحبيبة الغالية خديجة بعد ثلاثة أيام من رحيل عمه.

هجرة النبيّ ﷺ وصحبه للمدينة:

واستمر رسول الله ﷺ، صامداً في دعوته، ثابتاً على دينه الذي ارتضاه له رب العالمين، واستمرت قريش في نكالها وتعذيبها له ولأتباعه، حتى أصبحت مكة ذات يوم على مفاجأة لم تكن في حسبانها، فقد تركها محمد ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه، بعد أن أذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة!

ثم تبعه صحبه وبناته: رقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهم، وبقيت زينب منعزلة وحيدة في بيت زوجها بمكة الذي أبى أن يدخل في دين الإسلام، وخيَّم الحزن والقلق على بيتها، وانقلبت السعادة التي نعموا في ظلالها ردحاً من الزمن إلى شقاء وتعاسة لم تعرفها من قبل.

باتت «زينب» تعيش غربة قاسية، فالأم قد رحلت عنها إلى الأبد، ووالدها وأخواتها هاجروا إلى المدينة، وزوجها على أوثانه، وقد طرح عقله جانباً وأبى أن يستجيب إلى نوازع الفطرة السليمة تلزم جانب الإيمان برب العالمين، فلمن تلجأ وبمن تستعين؟ إن الله خير ملاذ، وهو أكرم معين.

أسر زوجها أبي العاص في بدر:

وجاءت معركة بدر، ووقف «أبو العاص» في صف المشركين ضد عمه رسول الله ﷺ وجمع المسلمين الذين أخذوه أسيراً.

ما أثقله من خبر على سمع «زينب»! وما أعظم وطأته!.

لقد كان «أبو العاص» غنياً، فأزمع أهله على فدائه، ولكن كان لزينب رأي آخر. عندها ما هو أثمن من المال وأغلى.

روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: «لما بعث أهل مكة في فداء أسراهم، بعثت «زينب» بنت رسول الله ﷺ في «فداء أبي العاص بن الربيع» بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت «خديجة» رضي الله عنها، أدخلتها بها على «أبي العاص» حين بنى بها، قالت: فلما رآها رسول الله ﷺ رق لها رقة شديدة».

فداؤها لزوجها بقلادة أمها خديجة:

وقال: «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها، وتردوا عليها مالها فافعلوا».

قالوا: نعم يا رسول الله! فأطلقوه، وردوا عليها الذي لها، وكان رسول الله ﷺ قد أخذ وعداً منه أن يخلي سبيل «زينب» إليه، وهذا عهد عليه، كما عرف عنه أنه لا يخل بالعهد.

وبعث رسول الله ﷺ «زيد بن حارثة» ورجلاً من الأنصار، وقال لهما: «كونا ببطن يأجج (وهو مكان على بعد ثمانية أميال من مكة) حتى تمر بكما زينب، فتصحباها حتى تأتياني بها». عاد «أبو العاص» إلى مكة، واتجه إلى البيت فطاف به سبعاً، ثم قصد إلى زوجه، التي أرسلت في فدائه أعزّ ما تملك، إنه كان يعرف مدى حبه ﷺ لخالته «خديجة» ولكن لم يخطر بباله أن مجرد رؤيته لقلادتها سيفجر مدامعه لذكراها الغالية.

وعد أبي العاص للنبي ﷺ إعادة زينب إليه بعد إطلاق سراحه:

وفي الطريق إلى لقاء الحبيبة، بدأ «أبو العاص» يفكر ويفكر حتى أعيا. كيف

ينسى الأشعار التي أنشدها فيها إبان سفره وبعده عنها، والآن كيف سيطاوعه وجدانه، وكيف سيحتمل ألم الفراق، ومن جهة ثانية، هو لا يستطيع أن يخلف وعده لرسول الله ﷺ بإرسال «زينب» إليه لأن معنى ذلك أن يهدم صرح الأمانة التي عُرف بها بين بني قومه.

ولما بلغ «أبو العاص» خفت إليه «زينب» لاهفة إلى لقائه، والدموع تملأ وجهها الطاهر من شدة الفرح بعودته، وأرادت معانقته، ولكنه نحاها عنه، وقال: استعدي للذهاب إلى أبيك، ولم يترك لها فرصة لتسأله، فقال: «فرَّق الإسلام بيني وبينك. قال هذه العبارة، وكأن قلبه خرج من صدره قبل أن ينطق لسانه بها.

أما «زينب» المؤمنة، فلم يكن أمامها إلا أن تقول: «سمعاً وطاعة لله تعالى ورسوله» وتحدّرت حبات الجمان من عينيها، واشتد وجيف قلبها، والفراق محتم لا مرية فيه ولا ارتياب. وحين فرغت من تجهيز متاعها، أخذها «كنانة» أخو زوجها، وقدم لها بعيراً، واصطحب قوسه وكنانته ثم انطلق ببعيرها وهي في هودج على ظهره، ولم تسر قريش بخروج زينب إلى أبيها، فأتبعها بعضهم ليكرهوها على البقاء عند زوجها، وهدفهم الانتقام من أبيها رسول الله ﷺ وثأراً لمن قُتل من رجالهم.

ترويع هبار لها وهي في الطريق إلى زوجها:

وكان أول الواصلين إليها «هبار بن الأسود بن عبد المطلب»، «ونافع بن عبد القيس الفهري»، وروعها «هبار» برمحه ـ وكانت حاملاً، فأخذت تنزف.

لكن «كنانة بن الربيع» حاميها، نثل كنانته وأخرج سهماً فوضعه في كبد قوسه، ثم قال: لا يدنو منا أحد إلا جعلت السهم فيه. فكفوا عنه.

عودتها لزوجها بعد نزفها:

وجاءه أبو سفيان مع بعض وجهاء قريش وقال له: كف نبلك حتى نكلمك، ولما كف نبله قال له أبو سفيان: إنك لم تحسن بإخراج المرأة علانية، وأنت تعلم ما دخل علينا من أبيها، لئلا يظن الناس أن خروجها من ذل نالنا أو وهن فينا، فارجع

بها من حيث أتيت، فإذا هدأ الناس، سلها في الخفاء وألحقها بأبيها.

ورأى «كنانة» أن عودته بها تحفظ حياتها ـ بعد نزفها ـ وتحقق رغبة أبي سفيان.

وفي طريق العودة، طرحت «زينب» حملها، حتى إذا وصلت دار زوجها هبَّ من فيها لحملها وهي غارقة بدمائها. واستعادت «زينب» بعد لأي بعض نشاطها، فخرج بها «كنانة» سراً ووصل بها إلى «ذي طوى» حيث ينتظرها رسولا أبيها، فسلمها إليهما.

علم النبي ﷺ بما جرى وهدره دم هبار وصاحبه:

ولما وصلا بها إلى رسول الله ﷺ، وعرف ما كان من أمر هبار أهدر دمه، وقال أبو هريرة: بعث رسول الله ﷺ سرية أنا فيهم، فقال لنا: «إن ظفرتم بهبار بن الأسود أو نافع بن عبد قيس الفهري فحرقوهما بالنار». فلما كان الغد بعث إلينا رسول الله ﷺ، فقال: «إني كنت أمرتكم بتحريق هذين الرجلين إن أخذتموهما، ثم رأيت أنه لا ينبغي لأحد أن يعذب بالنار إلا الله، فإن ظفرتم بهما فاقتلوهما».

إسلام أبي العاص:

وكتب الله الهداية لأبي العاص وشرح صدره للإسلام، فأسرع إلى المدينة حيث رسول الله ﷺ، ليعلن إسلامه أمامه، واتجه «أبو العاص» إلى المسجد ورسول الله ﷺ يصلي بالناس، وعلمت «زينب» أن زوجها قصد مسجد رسول الله ﷺ، فأسرعت إليه وقالت مرحبة: «مرحباً بابن الخالة، مرحباً بك أبا علي وأمامة، وبينما رسول الله ﷺ يكبِّر والناس من ورائه يكبرون، نادت «زينب» بأعلى صوتها:

«أيها الناس، إني أجرت أبا العاص بن الربيع». فلما سلم الرسول ﷺ من صلاته بعد انتهائها، أقبل على من معه، وقال: «أيها الناس! هل سمعتم ما سمعت؟».

أجابوا: نعم يا رسول الله، قد سمعنا. فقال ﷺ: «أما والذي نفس محمد

بيده، ما علمت بشيء من ذلك حتى سمعت ما سمعتم». وتابع قوله ﷺ: «إنه يجير على المسلمين أدناهم، وقد أجرنا من أجارت».

ثم دخل رسول الله ﷺ على ابنته «زينب» وعند زوجها، فقالت له برجاء وضراعة: يا رسول الله! إن أبا العاص إن قرب فابن خالة، وإن بعد فأبو ولد، وإني قد أجرته.

وتأثر رسول الله ﷺ بموقف ابنته «زينب» أيما تأثراً، وبعد انقضاء فترة من الزمن دعاها وأبلغها في رغبة زوجها «ابن العاص» بردها إلى عصمته.

ردها لزوجها:

وهناك قولان في ردها:

ـ **الأول**: أن رسول الله ﷺ ردها على زوجها في النكاح الأول، وهو عن ابن عباس.

ـ **الثاني**: أن رسول الله ﷺ ردها على زوجها في نكاح جديد، ذكره صاحب الروض الأنف.

وعاد الزوجان يجمعها سقف واحد ودين واحد وإله واحد لا شريك له.

وفاتها:

بيد أن لقاء الحبيبين من جديد لم يستمر طويلاً، فقد ثأثرت «زينب» بآلامها التي تخلفت عن إجهاضها، والدماء الكثيرة التي نزفت منها جراء ترويع «هبار بن الأسود» لها. وأسلمت «زينب» الروح إلى بارئها في السنة الثامنة للهجرة.

تعليم الرسول للنسوة طريق غسلها:

كانت مصيبة «أبي العاص» في رحيلها كبيرة، فأكب على جثمانها يناجيها ويذرف الدموع فأبكى جميع من حضروا، ثم حضر رسول الله ﷺ ليودعها بقلب حزين وطرف ساجم، فدعا لها واستودعها الله ثم قال لمن حولها من النسوة: «اغسلنها وتراً: ثلاثاً أو خمساً، واجعلن في الآخرة كافوراً».

دفنها في البقيع:

وتمَّ ما أمر به رسول الله ﷺ، ثم صلي عليها في مسجده الشريف، وأنزلت مرقدها في ثرى طيبة الطاهر. رحم الله «زينب» بنت أعظم أم، وكريمة سيد البشر سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم.

٢ ـ رقية رضي الله عنها:

ولادتها:

وضعت «خديجة بنت خويلد» أم المؤمنين، وزوج رسول الله ﷺ، ابنتها الثانية «رقية» فشكر ﷺ لله نعمته وحمده على سلامة زوجته، فأخذ الوالد طفلته بين يديه وضمها إلى صدره بحنان بالغ وعطف جلي، وقبلها قبلة ضمنها أسمى معاني الأبوة وأصدقها، ثم أسماها «رقية». وترعرعت الطفلة في أحضان أحن والد وأرق أم، وكان شريكها في ذلك الحنان وتلك الرأفة، أختها الثالثة «أم كلثوم» التي ولدت بعدها.

تزويجها:

حتى إذا أصبحت «رقية» و«أم كلثوم» أهلاً للزواج: وفد إلى بيت رسول الله ﷺ كبار آل عبد المطلب يبتغون مصاهرته، وكان يرأس الوفد عمه «أبو طالب» الذي بسط عليه رداء رعايته وكفله بعد وفاة جده «عبد المطلب».

قال له «أبو طالب»: إنك يا ابن أخي قد زوجت ابنتك «زينب» من «أبي العاص بن الربيع»، وإنه لنعم الصهر، غير أن بني عمك يرون لهم عليك مثل ما لا به الربيع، وليسوا دونه شرفاً ونسباً. فقال رسول الله ﷺ: «قد صدقت يا عم».

قال «أبو طالب»: لقد جئنا لنخطب رقية وأم كلثوم لأبني عمهما عبد العزى (عتبة وعتيبة) ابني أبي لهب.

ولما سأل رسول الله ﷺ ابنتيه رأيهما لزمتا الصمت، لأنهما لم تكونا لتخالف أمر أبيهما أو تحرجاه أمام أهله وعشيرته.

وتزوجت «رقية» من عتبة، «وأم كلثوم» من عتيبة، وبارك رسول الله ﷺ هذا

الزواج وسأل الله أن يكلأهما بعين رعايته، وأما أمهما «خديجة» رضي الله عنها فقد أبت مدامعها أن تـسكن عند فراقهما، وتمنت لهما السعادة والهناء. واتجهت إلى رعاية زوجها وتأمين الراحة والهدوء له ليؤدي عبادته لله عزّ وجلّ على خير وجه، والعناية بمولودتها الرابعة «فاطمة».

طلاقها وأختها من ابني أبي لهب:

لكن زواج ابنتي رسول الله ﷺ، «رقية» و«أم كلثوم»، من «عتبة» و«عتيبة» ابني «أبي لهب» لم يستمر طويلاً. ذلك أن أباهما حين صدع بأمر الله تعالى، وقام يدعو إلى دينه الحنيف، تنادت قريش إلى ناديها، وائتمروا برسول الله ﷺ، وعزموا على مناصبته العداء. فقال قائلهم:

لو أنكم رددتم عليه بناته لأصبح في شغل بهن عما جاءكم به وأفضّ مضاجعكم. ثم خاطبوا أصهاره الثلاثة وقالوا لهم الواحد بعد الآخر:

فارق صاحبتك ونحن نزوجك أية امرأة من قريش شئت. فأما «أبو العاص» فأبى أن يرد «زينب» وآثرها على نساء قريش جميعاً. وأما ابنا أبي لهب فاستجابا على الفور، وعادت رقية وأختها أم كلثوم إلى بيت سيد المرسلين ﷺ، ولم يكن الدخول بهما قد تم.

وكان وراء مسعى إعادة بنات الرسول ﷺ إلى بيت أبيهما، «أم جميل» زوج «أبي لهب»، ولم تكتف بذلك بل راحت تبذل جهدها بصحبة زوجها لإلحاق الأذى برسول الله ﷺ والكيد له.

وعيد أبي لهب وزوجه بالنار:

ولكن رب محمد ﷺ، رد عليهما رداً أليماً، وأنذرهما ناراً وجحيماً فنزل قوله تعالى: ﴿**تبت يد أبي لهب وتب، ما أغنى عنه ماله وما كسب، سيصلى ناراً ذات لهب، وامرأته حمالة الحطب، في جيدها حبل من مسد**﴾[1].

(١) سورة المسد: الآية ٥.

وستظل هذه السورة تتلى إلى قيام الساعة، جزاء على ما اقترفاه بحق رسوله الكريم ﷺ.

وروى ابن إسحاق: أن أم جميل حمالة الحطب، حين سمعت ما نزل فيها وفي زوجها من القرآن، أتت رسول الله ﷺ وهو جالس في المسجد عند الكعبة ومعه أبو بكر الصديق، وفي يدها فهر من حجارة ـ قطعة تملأ الكف ـ فلما وقفت عليهما أخذ الله ببصرها عن رسول الله ﷺ فلم تر إلا أبا بكر، فقالت: يا أبا بكر، أين صاحبك، فقد بلغني أنه يهجوني، والله لو جدته لضربت بهذا الفهر فاه، أما والله إني لشاعرة، ثم قالت:

مذمماً عصينا وأمره أبينا ودينه قلينا

وانصرفت، فقال أبو بكر: يا رسول الله، أما تراها رأتك؟ فقال: ما رأتني، لقد أخذ الله ببصرها عني.

ولم تكن مساعي أم جميل وزوجها أبي لهب وأمثالها، لتزيد رسول الله ﷺ إلا ثباتاً وتصميماً، فقد قال رسول الله ﷺ لزوجته «خديجة» رضي الله عنها: «لقد مضى عهد النوم يا خديجة».

ولم يخف على أم المؤمنين ما وراء هذه العبارة النبوية من مقاصد. فوقفت إلى جانب زوجها الكريم ولم تزل تثبته، وتهون عليه ما يلقاه من عنت المشركين وأذاهم، حتى تزيل همومه وأحزانه.

ولكن فأل حمالة الحطب وسعيها في رد ابنتي رسول الله ﷺ لم يؤثر في مسيرة الحق التي مضى بها الحبيب الأعظم محمد ﷺ. فبعد وقت قصير تقدم لخطبة ابنة رسول الله ﷺ «رقية» من هو أفضل من ولدي عدو الله ورسوله والإسلام أبي لهب، إنه رجل قَلَّ مثله في الرجال، صلاحاً وكرماً، ومن أعرق فتيان قريش نسباً. هو أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام وأحد العشرة المبشرين بالجنة، إنه «عثمان بن عفان» رضي الله عنه.

خطبة عثمان رضي الله عنه لها:

كان عثمان بن عفان يلتقي مع رسول الله ﷺ بنسبه من جهة الأب عند عبد مناف بن قصي، ويلتقي من جهة الأم عند عبد المطلب بن هاشم، وجدة عثمان لأمه، هي البيضاء أم حكيم بنت عبد المطلب جد النبي عليه السلام. وقال عنه عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «كان عثمان أوصلنا للرحم، وكان من الذين آمنوا ثم اتقوا وأحسنوا، والله يحب المحسنين».

وإضافة إلى شمائل عثمان، وعراقة نسبه، فهو بهيّ الطلعة، فخم السمت، موفور الحال، رضي الأخلاق.

ووافق الرسول الكريم ﷺ على مصاهرة عثمان، فزوجه رقية وبارك لهما زواجهما الميمون وفي العرس أنشد النسوة:

أحسن شخصين رأى إنسان رقية وبعلها عثمان[1]

وزاد هذا الزواج جمع المشركين سخطاً وحقداً، فزادت أساليب القهر والتعذيب، وأمعنت في النكال بالمسلمين، إلا أن جميع مساعيها لم تخط بطائل.

هجرتها وزوجها إلى الحبشة:

وحين زادت معاناة أصحاب رسول الله ﷺ، واشتد البلاء من قبل أعداء الله قال لهم: «لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكاً لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه».

ولادتها عبد الله:

وكان عثمان وعروسه «رقية» أول المهاجرين. وجاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ حتى تنبئه أنها رأت عثمان ورقية في أرض الحبشة، فقال رسول الله ﷺ: «منحهما الله، إن عثمان أول من هاجر بأهله»، واستجاب الله دعوة رسوله ﷺ فمنح الزوجين

(١) الروض الأنف ٢/ ٧٩.

الكريمين مولوداً أسمياه «عبد الله» حملاه معها إلى مكة حين عاد إلى أرض الوطن.

وفاة أمها خديجة:

وحين خفت حدة تعذيب المشركين للمسلمين، عاد الزوجان المهاجران مع ولدهما إلى رسول الله ﷺ، واستقبلت «أم كلثوم» و«فاطمة» وهما تغالبان الدموع التي تزاحمت في عيونهما، وتتكلفان الجلد. ورابها الموقف، وأدركت أن شيئاً ما حدث في غيابها، فسألت عن أبيها وأمها، وأجابتها أختاها: إن أباك بخير، وهو في استقبال المهاجرين العائدين من الحبشة، ثم صمتت «أم كلثوم» وأجهشت «فاطمة» بالبكاء وأدركت «رقية» أن أمها رحلت إلى بارئها.

كانت الصدمة قوية وأكبر من أن تحتملها «رقية» المؤمنة الصابرة، ولم تجد إلا صدر أبيها الرحيم تريح عليه صدرها المثقل بالهم والحزن، ليمنحها الصبر والثبات، بيد أن الابنة المكينة لم تستطع السيطرة على مدامعها، فانطلقت على سجيتها بغير معيق.

وأذن رسول الله ﷺ لأصحابه بالهجرة إلى المدينة المنورة، وكان عثمان وزوجه رقية ـ كما في هجرة الحبشة ـ أول الركب، ومعهما صغيرهما الحبيب (عبد الله).

وفاة ولدها عبد الله:

غير أن صفو الحياة لا يدوم وأيام السعادة لا تستمر، فقد بغى «ديك» على الطفل الصغير ونقره فمات على أثر ذلك وهو في السادسة من عمره[١].

مرضها ووفاتها:

فعاد الحزن من جديد يخيم على الأسرة الصغيرة وانتكأت جراح الأسى والألم. ولم تكن «رقية» صاحبة الحس المرهف لتحتمل كل هذه الأحزان، فوقعت صريعة الحمى، وأصبحت فريسة للمرض. وحين دعا رسول الله ﷺ إلى جهاد المشركين في «بدر» كان «عثمان بن عفان» رضي الله عنه أول الملبين، ولكن الرسول

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢/ ٢٥١.

الرحيم والأب الكريم أمره أن يبقى بقرب زوجه المريض ليرعاها.

وأخذ المرض يثقل ويشتد على جسم رقية، وران الذبول والاصفرار على وجهها، واضطربت أنفاسها، ثم بدأت تضعف وتضعف حتى توقفت، وفارقت «رقية» الحياة. ووقف الزوج المفجوع يبكي على رحيل الزوجة الحبيبة، وانقطاع نسبه برسول الله ﷺ. ولما عاد جند الله من بدر منتصرين، وهم يهللون ويكبرون: الله أكبر، الله أكبر، كانت روح الغالية «رقية» ترقى إلى بارئها، لتجد عنده الراحة والأمان.

رحم الله «رقية» بنت الحبيب ﷺ، وزوج المهاجر الصابر عثمان رضي الله عنه وأعلى نزلها في مستقر رحمته.

٣ ـ أم كلثوم رضي الله عنها:

ولادتـها

وأطلت الأنثى الثالثة التي وضعتها أم المؤمنين «خديجة» رضي الله عنها، على الحياة، بوجهها المشرق الوضاء، وغمرت البسمة وجه أبيها ﷺ ابتهاجاً بقدومها، وسروراً بسلامة أمها الحبيبة، ورفع رسول الله يديه بالدعاء شكراً لله على نعمته، وعرفاناً بفضله وكرمه.

زواجها من ابن عمها:

لقد جاءت الصغيرة في وقت احتدم فيه النزاع بين الشرك والإيمان، ثم أخذت تكبر وتكبر حتى بلغت سن الزواج. ووافق أبوها ﷺ على خطبة «عتيبة» ابن عمها أبي لهب لها. ولكن أم جميل زوجه عكفت مع أبي لهب زوجها على تأجج نار العداوة بين رسول الله ﷺ وبين المشركين، وأبدت استعدادها على أي عمل يزعج رسول الله ﷺ ويحمل الحزن والأسى إلى قلبه الكبير.

ولقد هداها تفكيرها السقيم إلى أمر سيترك في نفس النبيّ الكريم أسوأ الأثر ويجعله في كرب شديد. لم لا ترد إليه ابنتيه، وتأمر ولديها بطلاقهما، وهذا أقسى ما يلقاه أب يكن لابنتيه أعمق الحب وأنبل المشاعر. ولم تتردد حمالة الحطب، ولم

تتلكأ في تنفيذ هذه المفكرة الخبيثة التي مرت برأسها، وقالت لولديها: رأسي من رأسكما حرام إن لم تطلقا ابنتي محمد ﷺ».

طلاقها وأختها وردهما إلى أبيهما ﷺ:

واستجاب عتبة وعتيبة لأحقاد أمهما، وعادت رقية وأم كلثوم إلى دار أبيهما ﷺ قبل أن يبنى بهما.

دعاء الرسول ﷺ على عتيبة وافتراس الأسد له:

ولم يكتف عتيبة بطلاق أم كلثوم، بل ذهب إلى رسول الله ﷺ، وبتحريض من أمه، وأهانه أمام الملأ، فدعا عليه رسول الله ﷺ، أن يسلط الله عليه كلباً من كلابه، فافترسه الأسد من بين أصحابه، وهم نيام حوله[1].

وهكذا أراد الله بهاتين المرأتين خيراً وأبعدهما عن جحيم العيش مع أم جميل وضغائنها، وما لبثت رقية إلا قليلاً حتى تزوجت من عثمان بن عفان رضي الله عنهما، وهاجرت معه إلى الحبشة.

وبقيت أم كلثوم في بيت أكرم المرسلين وحبيب رب العالمين ﷺ، ومعها أختها الصغرى فاطمة، تتحملان مع أمهما خديجة أعباء الحياة، وتخففان عن أبيهما عنت قريش وأذاها. وتجاوزت قريش في طغيانها كل حد، فعرضت على أبي طالب أحد أبنائهم يتبناه على أن يسلم إليهم ابن أخيه محمداً بن عبد الله، فرد أبو طالب متهكماً ساخراً من عرضهم وغبائهم قال:

مقاطعة قريش رسول الله ﷺ:

عجباً لكم! أتعطوني ابنكم لأغذوه وأسلمكم ابني لتقتلوه؟ ثم بدا لهم أن يقاطعوا بني هاشم وبني عبد المطلب ويخرجوهم من مكة ويضيقوا عليهم، ولا يبيعونهم شيئاً ولا يبتاعون منهم حتى يسلموا محمداً ﷺ للقتل، وكتبوا صحيفة علقوها على الكعبة تتضمن ما ائتمروا عليه، وانحاز بنو هاشم في شعب أبي طالب،

(١) الروض الأنف (٣/ ٦٨).

ومعهم بنو المطلب مسلمهم وكافرهم باستثناء الأفعى أبي لهب الذي بقي مع قريش.

واستمرت المقاطعة، وحرب الجوع ثلاث سنوات عانى منها المسلمون والموجودون معهم في الشعب أيما معاناة.

تطوع هشام العامري لتأمين الطعام لهم ليلاً:

لكن هشام بن عمرو بن ربيعة العامري لم يرقه ذلك ولم يرتح إليه، فكان يأتي ليلاً ببعير عليه طعام كثير، وما إن يبلغ به فم الشعب، حتى يخلع خطامه من رأسه ويضربه على جنبه، فيدخل البعير على أهل الشعب بما حمل.

وقد روي عن سعد بن أبي وقاص أنه قال: لقد جعت ذات ليلة فوطئت على شيء رطب، فوضعته في فمي وبلعته وما أدري ما هو إلى الآن.

مرض السيدة خديجة ووفاتها:

وقد أثر الحصار في السيدة خديجة وأسلمها إلى مرض شديد لزمت معه الفراش، وتحملت أم كلثوم مسؤوليتها بالسهر على والدتها المريضة، ورعاية أختها الصغيرة فاطمة الزهراء، والتخفيف عن أبيها قدر طاقتها من حزنه وآلامه.

وخرج المسلمون من الحصار، وقد قوَّت المحنة عزائمهم، وزادتهم إيماناً مع إيمانهم، ومن يكن الله معه فلن يظهر عليه أحد.

وقد خيم الحزن والسكون على بيت النبوة، والتفت البنات الثلاث حول أمهنَّ، وهي تجود بأنفاسها الأخيرة، وإلى جانبها أحن زوج يهوِّن عليها سكرات الموت، ويبشرها بما أعد الله لها من ألوان النعيم.

ولكن البيت خبا نوره، وانطفأ سراجه، وكان رسول الله ﷺ يدخل إلى البيت ويتلفت في أرجائه، وما يُظنُّ إلا أنه يبحث عن وزيره الذي فقده بعد ثلاثة أيام من رحيل عمه أبي طالب، الذي شدّ أزره، وناصره على قومه، ومنعه منهم، وكان خير معين له.

تمادي قريش بعد وفاة أبي طالب:

ولما قضى أبو طالب، أخذت قريش تنال من رسول الله ﷺ وتؤذيه بما لم تطمع به في حياة أبي طالب، ولم تصل إليه مطامحها. وذات يوم اعترض طريق رسول الله ﷺ أحد سفهاء قريش وأوغادها فنثر على رأسه الشريف تراباً، فدخل الرسول ﷺ إلى بيته، وأقبلت عليه أم كلثوم لتغسل عنه التراب، وهي تبكي، والرسول ﷺ يقول: «لا تبكي يا بنية! إن الله مانع أباك».

الهجرة إلى يثرب:

وظل رسول الله ﷺ يصبر ويصابر مع بناته ومن آمن معه حتى أذن الله تعالى لرسوله بالهجرة إلى يثرب.

أودع رسول الله ﷺ ابنتيه أم كلثوم وفاطمة عند زوجه «سودة بنت زمعة» التي بنى بها بعد خديجة، وخرج من بيته ليلاً مهاجراً ما صاحبه أبي بكر الصديق، بعد أن أمر علي بن أبي طالب أن يرقد في مضجعه، ويرد الأمانات والودائع إلى أهلها.

ولما استقر في المدينة أرسل بعض أصحابه ليأتوه بأهل بيته مع أهل بيت أبي بكر. وخرجت نساء الأنصار لاستقبال بنات النبيّ ﷺ تصحبهما زوجه سودة بنت زمعة، وابنتا أبي بكر الصديق رضي الله عنه أسماء وعائشة، وكانت الحفاوة بهن شديدة والترحاب كبير، وكان شوق رسول الله ﷺ إلى أهله وبناته شديداً، ومضى بهنَّ إلى الدار التي أعدها لأهله بعد بناء المسجد النبوي الشريف، وبعد عامين من الهجرة حفلا بالأحداث الخطيرة، ويوم دوّى تكبير المسلمين لانتصارهم العظيم في معركة «بدر» لفظت رقية أنفاسها، وعاد الحزن والكآبة إلى بيت رسول الله ﷺ من جديد.

وقد أراد الله جلّ شأنه أن يمسح الكآبة والأحزان عن بيت النبوة ويدخل إليه البهجة والسرور. وذات يوم دخل عمر بن الخطاب رضي الله عنه على رسول الله ﷺ ليشكو إليه صاحبيه أبا بكر الصديق، وعثمان بن عفان رضي الله عنهما، فقد عرض عليهما الزواج من ابنته (حفصة) التي هلك زوجها (خنيس بن حذافة) عنها، بعد أن شهد بدراً ومات في المدينة، وبعد أن أمضت عدتها، إلا أن

صاحبيه رفضا ما عرض، وخيّبا أمله. وانفرجت شفتا النبيّ ﷺ عن ألطف ابتسامة، لأن عمر لم يكن يعلم بما أعد الله لحفصة من الشرف والتكريم. وقال رسول الله ﷺ له: «يتزوج حفصة من هو خير من عثمان! ويتزوج عثمان من هي خير من حفصة»(١).

أمر الله النبي ﷺ تزويج عثمان لها:

وقد روت (أم عياش) مولاة رقية أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ما زوجت عثمان إلا بوحي من السماء»(٢).

وعن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتاني جبريل فقال: إن الله يأمرك أن تزوج عثمان أم كلثوم، وعلى مثل صداق رقية، وعلى مثل صحبتها»(٣).

وبزواج عثمان من أم كلثوم بعد أختها رقية، نال عثمان بن عفان رضي الله عنه لقب: (ذي النورين)، وكان ذلك في ربيع الأول من السنة الهجرية الثالثة. وبقيت أم كلثوم عند عثمان ست سنوات ولم تنجب منه.

مرضها ووفاتها:

ودهم المرض أم كلثوم، فلزمت فراشها، ونظر عثمان إلى شحوبها ووهنها فرحمها وأشفق عليها. وسمع عثمان نداء بلال يدعو لصلاة الفجر فألقى على زوجه نظرة رحيمة ثم انطلق ليصلي خلف رسول الله ﷺ. وحاولت أم كلثوم أن تنهض وصوت بلال الساحر يخترق أذنيها، لكن جسدها الضعيف لم يقوَ على النهوض، وسمعت تكبير المصلين فأحذت تبكي، وبدأت أنفاسها تضعف شيئاً فشيئاً. ولما رأتها أم عياش في النزع الأخير أرسلت إلى المسجد، فهرع عثمان إلى داره وراح يناديها بوجد وإشفاق، وكان يفزعه ـ برحيلها ـ انقطاع نسبه برسول الله ﷺ.

---

(١) الإصابة لابن حجر ١٢/١٩٨.
(٢) الإصابة ١٣/٢٧٦.
(٣) الإصابة ١٣/٢٧٦.

وجاء نبي الله ﷺ، ودخل معه أبو بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم، ومعهم بعض الصحابة الكرام ودخل الأب الرحيم على ابنته وهي تلفظ آخر أنفاسها، وقد غلبته الدموع، ولم ينطق بما يغضب الله، ودخلت «أسماء بنت عميس» زوج أبي بكر الصديق، وصفية بنت عبد المطلب، وأخذن يبكين بدموع حرَّى. وحملتها «أم عطية» لتغسلها، فقال لها رسول الله ﷺ: «اغسلنها وتراً ثلاثاً أو خمساً أو أكثر من ذلك». وأعطاهن رسول الله ﷺ إزاره لتكفن به. وحمل مع الصحابة جثمانها الطاهر إلى المسجد، وبكت «الزهراء» أختها الغالية، وأجهشت النساء معها، وصلى عليها رسول الله ﷺ، وصحبه، ووري جثمانها في ثرى البقيع. وقد نزل في حضرتها، علي بن أبي طالب والفضل بن العباس وأسامة بن زيد رضي الله عنهم. وأراد أناس أن ينزلوا معهم. فقال لهم رسول الله ﷺ: «لا ينزل في قبرها أحد قارف أهله الليلة، أفيكم أحد لم يقارف أهله الليلة؟».

فقال أبو طلحة: أنا يا رسول لله.

فقال له رسول الله ﷺ: «انزل».

وبعد دفن أم كلثوم رضي الله عنها، غرق زوجها عثمان بن رضي الله عنه في حزن شديد، ولم يستطع كف مدامعه. وعاد الناس من البقيع وقد غمرهم أسى عميق، ورأى رسول الله ﷺ عثمان وهو يسير مطرقاً، فدنا منه ﷺ وقال له: لو كان عندنا ثالثة لزوجناكها يا عثمان».

رحم الله أم كلثوم بنت الحبيبين ـ محمد ﷺ وخديجة أم المؤمنين ـ وزوج ذي النورين، وجعل مثواها الجنة.

٤ ـ فاطمة الزهراء سيدة نساء أهل الجنة:

ولادتـها:

كانت رابعة بنات رسول الله ﷺ، وأمها خديجة بنت خويلد، أحب أزواجه إليه، ووزيرة صدق عنده، وظهيره على أعاديه.

اسمها ولقبها وكنيتها:

استبشر أبوها بمولدها خيراً، وتوسم بها اليمن والبركة، فسماها فاطمة، ولقبها بالزهراء، وكناها بأم أبيها، لأنها كانت شديدة الشبه به.

كانت حسنة الأخلاق، عفيفة النفس، محبة للخير، ولا غرو، فقد نهلت من معين خير أب في الوجود ورضعت لبن خير أم، بل خير النساء قاطبة.

كان أبوها سيدنا رسول الله ﷺ قدوتها، ومثلها الأعلى في جميع تصرفاتها، لذلك خصها بحبه وحنانه وعطفه الكبير. وقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها: أي الناس كان أحب، إلى رسول الله ﷺ فقالت: فاطمة، من قبل النساء، ومن الرجال زوجها[١].

كانت الزهراء، مرحة نشيطة، وكانت أكثر بنات الرسول ﷺ شبهاً بأبيها. مشيتها ولفتتها، ونبرات صوتها وعلاقاتها بمن حولها وتصرفاتها في كل شؤونها، فكانت ألوط أولاده لصوقاً بقلبه، وهو لجميعهم محب وعلى كلهم عطوف.

نزول الوحي على أبيها ﷺ:

ولما بلغت الخامسة من عمرها بدأ الوحي ينزل على أبيها رسول الله ﷺ، ولم يكن أمامها خيار إلا أن تلقي بنفسها في خضم الأحداث التي تعاقبت بعد بعثته ﷺ.

وجدت نفسها وحيدة بعد زواج أخواتها الثلاث: زينب ورقية وأم كلثوم، ولكن ابن عمها علي بن أبي طالب، ربيب رسول الله ﷺ، والذي يكبرها بأربع سنوات خفف من وحدتها، وشاركها أفكارها وطموحاتها.

دعوة النبيّ ﷺ عمه العباس ليخفف عن أبي طالب مؤونة عياله:

وحين تعرضت قريش لأزمة ناء الناس بحملها، وكان أبو طالب رجلاً كثير

(١) سيد أعلام النبلاء للذهبي ٢/١٢٥.

العيال، فبادر رسول الله ﷺ إلى عمه العباس، وكان موسراً فقال له: «إن أخاك أبا طالب كثير العيال، وقد أصاب الناس ما ترى من هذه الأزمة، فانطلق بنا إليه فلنخفف عنه من عياله، آخذ من بنيه رجلاً، وتأخذ أنت رجلاً، فنكفلهما عنه».

فقال عمه العباس: نعم. فانطلقا حتى أتيا أبا طالب، فقالا له: «إنا نريد أن نخفف عنك من عيالك حتى ينكشف عن الناس ما هم فيه».

فقال لهما أبو طالب: إذا تركتما لي عقيلاً ـ أحد أولاده ـ فاصنعا ما شئتما. (وكان عقيل ضعيف الجسم، سقيم البدن).

اختياره علياً ليربيه:

وأخذ محمد ﷺ علياً وهو أصغر أبناء أبي طالب، فضمه إليه، وأخذ العباس جعفراً فضمه إليه، وهو أكبر من علي بعشر سنين. وبقي علي مع الرسول ﷺ حتى إذا حمل رسالة الإسلام اتبعه وآمن به وصدقه، ولم يزل جعفراً عند العباس حتى أسلم واستغنى عنه.

كان علي رضي الله عنه أحد الثلاثة الذين سبقوا إلى الإسلام، وودَّ لو أن أباه أبا طالب قد أعلن إسلامه ونطق بالشهادة فقد قال له رسول الله ﷺ: «وأنت أي عم، أحق من بذلت له النصيحة، ودعوته إلى الهدى، وأحق من أجابني إليه وأعانني عليه». ولكن أبا طالب لم يفعل.

ملازمتها لأبيها:

نشأ علي وفاطمة في حجر النبيّ ﷺ، ولم يفارقاه في مسيرة حياته. وكانت الزهراء على الرغم من صغر سنها، فقد كانت شديدة الحرص على البقاء قرب أبيها لتعيش أحداث النبوة وتكون في قلبها. وذات يوم خرج رسول الله ﷺ من بيته إلى البيت الحرام ليصلي. وفيما هو ساجد وحوله نفر من المشركين يسخرون من صلاته وعبادته، أتى عقبة بن أبي معيط بسلى جزور وجعلها على ظهر الرسول ﷺ، ولم يرفع رسول الله ﷺ رأسه حتى تقدمت ابنته فاطمة، فأخذت السلى، ودعت على الفاعل.

دعاء النبي ﷺ على بعض أعيان قريشّ

وعندما رفع رسول الله ﷺ قال: «اللهم عليك الملأ من قريش! اللهم عليك أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة، وعقبة بن أبي معيط، وأبي بن خلف». واهتز المشركون لدعائه، وغضوا من أبصارهم، ثم انصرف رسول الله ﷺ إلى بيته، ومعه الحبيبة فاطمة رضي الله عنها، واستجاب الله لدعوته يوم بدر، وبات الجميع صرعي يومئذ.

ونزل جبريل على رسول الله ﷺ بقوله تعالى: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾[١].

روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة قال: «قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله: ﴿**وأنذر عشيرتك الأقربين**﴾. قال: «يا معشر قريش، أو كلمة نحوها، اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئاً، يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئاً، ويا فاطمة بنت محمد ﷺ، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئاً»[٢].

ولما سمعت الزهراء شعرت بالفخر لهذا التكريم خصها به أبوها دون باقي أهل بيته، مؤكداً أنه لا يغني من الله شيء حتى عن أحب الناس وأعزهم عليه.

وفاة أمها:

وعانت الزهراء ما عانت من الحصار الذي ضربه جمع الكافرين على المسلمين في شعب أبي طالب، وأثر الجوع في صحتها، وأبقاها ضعيفة البنية، وما إن انتهت محنة الحصار حتى فجعت بوالدتها السيدة خديجة رضي الله عنها. وبينما هي أمام أمها ترقبها وهي تصارع الموت، دخل علي. ولما رأى الطاهرة بهذا الوضع، انفجر بالبكاء، ولم يكن قادراً أعلم كبح مشاعره، وراح يتساءل: كيف يمكن لنبع الحنان أن ينضب؟ وكيف يتصور أن يخلو بيت النبوة من سيدته

(١) سورة الشعراء: الآية ٢١٤.
(٢) أخرجه البخاري في تفسير سورة الشعراء/ ٤٤٩٣.

الطاهرة؟ وأما أعظم زوج في الوجود وأرحم أب، وأحن مخلوق، فقد غمره حزن شديد مزدوج، ولقي الأمرين جرَّاء فراق عمه ورحيل زوجه، وكلاهما وقفا إلى جانبه وناصراه على بغي البغاة وظلم الظالمين.

ولم تستسلم الزهراء لأحزانها، ولم تعزل نفسها عن هموم أبيها وما يلاقيه من عنت المشركين وأذاهم، وقد شهدت معاملة أهل الطائف الفظة له، وقبح ردهم على دعوته لهدايتهم. ثم شهدت موقف المشركين من رحلة الإسراء والمعراج: وتكذيبهم لصاحب الرحلة، ولكنها بالرغم من ضعف جسدها إلا أن الله أمدها بعزيمة قوية تستطيع أن تجاهد بها الكفار والمنافقين مهما لجوا في عتوهم ونفورهم، ومهما أمعنوا في غيهم وأذاهم.

إذن النبيّ ﷺ لأصحابه بالهجرة:

وانطلق رسول الله ﷺ وصاحبه أبو بكر الصديق رضي الله عنه باتجاه يثرب بعد أن أذن الله لرسوله ﷺ بالهجرة إليها، وأمر علي بن أبي طالب أن يرقد في فراشه ليوهم بغاة قريش أنه النائم ولا أحد غيره، وأوكل إلى علي رد الودائع والأمانات التي لديه إلى أصحابها.

وبقيت فاطمة وأختها أم كلثوم في مكة مع سودة بنت زمعة التي بنى بها رسول الله ﷺ وهو في مكة، وذلك إلى أن يرسل صلوات الله وسلامه في طلبهن.

وعند وصولهن إلى المدينة المنورة استقبلهن نساء الأنصار أحسن استقبال، وآخى الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار، واتخذ علياً أخاً له[1]. وسر الرسول ﷺ باجتماع شمله ببناته وأهله.

كان رسول الله ﷺ قد بنى بعائشة ابنة الصديق رضي الله عنهما، وأسكنها دار النبوة وليس بدعاً أن تشعر «فاطمة» بشيء من الغيرة ممن احتلت مكان أمها، وكان لزاماً أن تحب فاطمة زوج أبيها.

---

(١) الاستيعاب ٣/١٠٩٨، والمحبر/ ٧٠.

وقد روى البخاري في صحيحه، في حديث طويل أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: «يا بنية، ألا تحبين ما أحب؟»، قالت: بلى[١].

وفي رواية أخرى أوردها مسلم في صحيحه، في حديث طويل أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: أي بنية! ألست تحبين ما أحب؟» فقالت: بلى. قال: «فأحبي هذه»[٢].

خطبة علي لها:

ولما بلغت فاطمة الثامنة عشرة من عمرها تقدم لخطبتها العمران: أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ولكن رسول الله ﷺ اعتذر لهما، ثم تقدم علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وها هوذا يروي حكايته.

أردت أن أخطب إلى رسول الله ﷺ ابنته فاطمة، فقلت: والله ما لي شيء، ثم ذكرت صلته وعائدته[٣]، فخطبتها، إليه. فقال لي النبيّ ﷺ: «وهل عندك شيء؟». فقلت: لا يا رسول الله.

فقال ﷺ: «فأين درعك الحطيمة التي أعطيتك يوم كذا وكذا؟». قلت عندي.

فقال ﷺ: «فأعطها إياها».

وانطلق علي بن أبي طالب رضي الله عنه مسرعاً، وجاء بالدرع، فأمره النبيّ عليه الصلاة والسلام أن يبيعها ليجهز بثمنها العروس[٤]. وتقدم عثمان بن عفان لشراء الدرع ودفع ثمنها أربعمائة وسبعين درهماً، وسلم علي بن أبي طالب ثمنها لرسول الله ﷺ، فدفعها إلى بلال ليشتري ببعضها طيباً وعطراً، ثم يدفع الباقي إلى أم سلمة رضي الله عنها لتشتري جهاز العروس.

(١) صحيح البخاري رقم ٢٤٤٢.
(٢) صحيح مسلم برقم ٢٤٤٢/ ٨٣.
(٣) العائدة: الصلة والمعروف.
(٤) مسند الإمام ١/ ١٤٢.

مقدار صداقها:

كان الصداق أربعمائة مثقال فضة حسب السنة القائمة والفريضة الواجبة ثم قدم رسول الله ﷺ لمن شهد العقد من الصحابة تمراً، فأكلوا وانصرفوا داعين للعروسين بالتوفيق والخير. ثم إن رسول الله ﷺ أمر أم سلمة أن تمضي بالعروسين إلى دارهما وقال لعلي رضي الله عنه: لا تحدث شيئاً حتى تلقاني»، وذهب إلى صلاة العشاء، ثم عاد إلى العروسين[١]، فدعا بماء، فتوضأ منه، ثم أفرغه عليهما وقال: «اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك في نسلهما».

تبشير النبيّ ﷺ بولادة فاطمة:

وذات صباح انطلقت أم الفضل ـ امرأة العباس ـ إلى رسول الله ﷺ فزعة من رؤيا رأتها في منامها، وترددت كثيراً في كتمانها عنه، ولكنها سيطرت على فكرها فقررت أن تخبره بها لترتاح، لقد رأت أن عضواً من أعضاء الرسول ﷺ يقطع ويلقى في بيتها.

ولما أفضت بذلك إليه أحست بالراحة، ونظرت إلى وجه النبيّ ﷺ لترى أثر حديثها عليه فقال لها: «خيراً رأيته، تلد فاطمة غلاماً فترضعينه».

ولم تسع الفرحة علياً ولا فاطمة، فقد غمرهما البشر، ورفرفت السعادة فوق الدار الصغيرة، دار فارس الإسلام وسيدة نساء الجنة، دار ليس بها إلا إهاب كبش كان فراشاً للزوجين، وغطاء من قطيفة لا تغطي جسديهما، إذا جعلاها بالطول انكشفت ظهورهما، وإذا جعلاها بالعرض انكشفت رؤوسهما. ولما أزفت ساعة المخاض طلب رسول الله ﷺ من أم سلمة وأم رومان: «أحضرا فاطمة» وأطل الحفيد الصغير بوجهه الجميل، ثم دخل النبيّ ﷺ على ابنته الزهراء وأتوه بالطفل ملفوفاً في خرقة صفراء، فرمى بها وقال: «ألم أنهكم أن تلفوا الولد في خرقة صفراء؟ فلفوه بخرقة بيضاء، وسلموه، إلى رسول الله ﷺ، فقطع سرته ودعا قائلاً: «اللهم إني أعيذه بك وولده من الشيطان الرجيم».

(١) طبقات ابن سعد ٨/ ١٥، الإصابة ٨/ ١٥٨.

تسمية النبيّ ﷺ المولود حسناً:

وفي اليوم السابع قدم رسول الله ﷺ وقال: «أروني ابني، ما سميتموه؟». فرد علي كرَّم الله وجهه: حرباً. فقال ﷺ: «بل هو حسن». ونحر ﷺ كبشاً وأعطى القابلة فخذاً وديناراً وقال لابنته: «يا فاطمة احلقي رأسه وتصدقي بزنة شعره فضة».

وذات يوم كانت «أم الفضل» ترضع «الحسن» ثم دخلت على النبيّ ﷺ فوضعته في حجره، فبال، فضربت على كتفه مؤنبة، فنظر الجد الشفوق إليها وقال: «أوجعت ابني، رحمك الله». ولم تمض سنة حتى أطل الحفيد الثاني في شهر شعبان سنة أربع للهجرة، إنه «الحسين». وكانت الفرحة عارمة. ولما نزل قوله تعالى: ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾[1].

دعاء النبيّ ﷺ لأهل بيته:

كان النبيّ ﷺ في بيت زوجه أم سلمة رضي الله عنها، فدعا علياً وفاطمة والحسن والحسين فغطاهم بكساء ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي، اللهم فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». قالها ثلاث مرات، ثم قال: «اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد كما جعلتها على آل إبراهيم، إنك حميد مجيد».

وتوالى النسل الطيب المبارك، ففي السنة الخامسة للهجرة وضعت الزهراء (زينب) ثم وضعت بعد عامين طفلتها (أم كلثوم) وكان ﷺ قد اختار الإسمين تخليداً لخالتيهما. وكانت ذرية فاطمة الزهراء أشرف ذرية، وأطهر ما عرفته البشرية.

ولكن حب الرسول ﷺ لابنته وأهله لم يكن ليحيد عن منهج الرسالة التي حملها، ولا يسمح لأحد منهم أن يتجاوز حدودها. وقد جاءته فاطمة يوماً شاكية

(١) سورة الأحزاب: الآية ٣٣.

ما تسببه لها الرحى من ألم، وقد جرحت يديها من حمل الماء، وطلبت أن يعطيها خادماً من الأسرى، فأبى بالرغم من حبه الشديد لها وقال: كيف تطمعون في شيء من هذا وأهل الصفة على ما هم عليه من الفقر؟».

حب النبيّ ﷺ واحترامه لها:

وبلغ من حب النبيّ ﷺ لابنته فاطمة الزهراء أنها إذا دخلت عليه قام إليها وقبلها وأجلسها مكانه.

نهي النبيّ ﷺ لها عن لبس الذهب:

وقد رآها مرة رسول الله ﷺ وفي يدها سلسلة من ذهب، وهي تقول لامرأة عندها: هذه أهداها لي أبو الحسن. فقال رسول الله ﷺ: «يا فاطمة» أيسرك أن يقول الناس ابنة رسول الله في يدها سلسلة من نار؟». ثم خرج ولم يقعد ـ تعبيراً عن استيائه ـ فأرسلت فاطمة بالسلسلة فباعتها، واشترت بثمنها عبداً فأعتقته لوجه الله، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «الحمد لله الذي نجى فاطمة من النار»[1].

إصلاح النبيّ ﷺ بين علي وفاطمة:

كانت السعادة تخيم على دار أحب اثنين لرسول الله ﷺ، وقد نشب خلاف يدفع فاطمة إلى الشكوى إلى أبيها فيصلح بينهما.

وقد سعى رسول الله ﷺ ذات مساء إلى دار فاطمة ووجهه باسر فأمضى وقتاً ثم خرج والبشر يملأ وجهه فقيل له: يا رسول الله! دخلت وأنت على حال، وخرجت ونحن نرى البشر في وجهك. فقال ﷺ: وما يمنعني، وقد أصلحت بين أحب اثنين إليَّ؟».

خطبة علي لابنة أبي جهل وغضب النبي ﷺ لغضبها:

وسمعت «الزهراء» همساً خافتاً، ما لبث أن علاه وعلا حتى بدد كل شك، إن بيت عدو الله «أبي جهل» لم يجدوا أكفأ من ابن أبي طالب ليزوجوه ابنتهم،

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٣/ ١٥٢.

وذهبت ابنة الحبيب، إلى أبيها ﷺ والدموع تنهمر من عينيها، ولما عرف رسول الله ﷺ السبب، غضب لابنته أشد الغضب. إن الإسلام لا يمنع ابن أبي طالب من أن يتزوج، ولكن أن يجمع بين ابنة رسول الله ﷺ وبين ابنة عدو الله في وقتٍ معاً، فهذا الذي لا يرضاه.

وجاء بنو هشام بن المغيرة يستأذنون رسول الله ﷺ في أن يزوجوا ابنتهم من زوج فاطمة. فلم يأذن.

وروى مسلم في صحيحه عن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مليكة القرشي التميمي؛ أن المسور بن مخرمة حدثه؛ أنه سمع رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول: «إن بني هشام بن المغيرة استأذنوا أن يُنكحوا ابنتهم علي بن أبي طالب، فلا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، ثم لا آذن لهم، إلا أن يحب ابن أبي طالب أن يطلق ابنتي وينكح ابنتهم، فإنما ابنتي بَضعة مني يريبني ما رابها، ويؤذيني ما آذاها»[١].

وروى مسلم أيضاً عن علي بن حسين؛ أن المسور بن مخرمة أخبره: أن علي بن أبي طالب خطب بنت أبي جهل، وعنده فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فلما سمعت بذلك فاطمة أتت النبيّ ﷺ فقالت له: إن قومك يتحدثون أنك لا تغضب لبناتك، وهذا علي، ناكحاً ابنة أبي جهل.

ترك علي الخطبة وعودة الصفاء لبيت فاطمة:

قال المسور: فقام النبيّ ﷺ فسمعته حين تشهَّد، ثم قال: «أما بعد، فإني أنكحت أبا العاص بن الربيع، فحدثني فصدقني، وإن فاطمة بنت محمد مضغة مني، وإنما أكره أن يفتنوها، وإنها، والله! لا تجتمع بنت رسول الله وبنت عدو الله عند رجل واحد أبداً». قال: فترك علي الخطبة[٢].

وعاد الصفاء إلى بيت فاطمة، ولفته المودة بملاءتها، وجعلت ذات يوم

---

(١) أخرجه مسلم برقم ٢٤٤٩/٩٣.
(٢) أخرجه مسلم برقم ٢٤٤٩/٩٦.

ترقص طفلها وتقول له، قاصدة مداعبة أبيه:

وابـــأبـــي شبـــه النبـــي لســـت شبيهـــاً بعلـــي

فدنا منها علي وقال لها في رقة وحنان: والله لا آتي شيئاً تكرهينه أبداً[١].

تعليم النبيّ ﷺ لهما:

ودخل رسول الله ﷺ عليهما مرة وقال لهما: «ألا أخبركما بخير ما سألتماني؟».

فقالا: بلى يا رسول الله: فقال رسول الله ﷺ: «كلمات علمنيهن جبريل، تسبحان في دبر كل صلاة عشراً، وتحمدان عشراً، وتكبران عشراً، وإذا أويتما إلى فراشكما، تسبحان ثلاثاً وثلاثين، وتحمدان ثلاثاً وثلاثين، وتكبران ثلاثاً وثلاثين، فهو خير لكما من كل شيء». فقال علي رضي الله عنه: ما تركتهن منذ علمنيهن، فسأله رجل من أصحابه: ولا ليلة صفين؟ فقال: ولا ليلة صفين[٢].

لله درك! يا سيدة النساء، كم حمل جسمك الضعيف من الأسى وكم لقي من الآلام! ذهبت خديجة أمك على مرأى ومسمع منك، وتبعتها أختك رقية بعد عودتها من الحبشة، ثم تلتها أختك زينب في السنة الثامنة للهجرة: وأعقبتها أختك أم كلثوم في السنة التاسعة للهجرة، وأنت صامدة كالجبل الراسي أمام تلكم الخطوب الجسام. إنه صبر المرأة المؤمنة التي رباها خير الأنام، غرسه في صدرك بيديه، وسقاه من نبع عطفه وحنانه، فأتى أكله وأينع أيما إيناع!

ولم تبق من صفر إلا ليال قليلات حتى نزل برسول الله ﷺ مرض عصيب ألزمه فراشه وخالها أهل بيته أنها وعكة لا تلبث حتى تزول. ولكن الأزمة في هذه المرة شديدة، وعاقبتها يعزّ فيها الصبر والجلد، إن رسول الله ﷺ موشك على الرحيل، وهل من صبر لأحد في هذا المصاب؟.

---

(١) الإصابة ٨/ ١٦٠، طبقات ابن سعد ٨/ ١٦.

(٢) الإصابة ٨/ ١٥٩.

إسرار النبيّ ﷺ لها برحيله ولحاقها به:

وقد روي عن عروة بن الزبير أن عائشة حدثته «أن رسول الله ﷺ دعا فاطمة ابنته فسارها، فبكت، ثم سارها فضحكت. فقالت عائشة: فقلت لفاطمة: ما هذا الذي سارَّك به رسول الله ﷺ فبكيت، ثم سارك فضحكت؟ قالت: سارني فأخبرني بموته، فبكيت. ثم سارني فأخبرني أني أول من يتبعه من أهله، فضحكت»[١].

وعن مسروق عن عائشة قالت: كن أزواج النبيّ ﷺ عنده، لم يغادر منهن واحدة، فأقبلت فاطمة تمشي، ما تخطىء مشيتها من مشية رسول الله ﷺ شيئاً، فلما رآها رحَّب بها فقال: «مرحباً بابنتي» ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله، ثم سارها، فبكت بكاء شديداً، فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحكت. فقلت لها: خصك رسول الله ﷺ من بين نسائه بالسرار، ثم أنت تبكين؟. فلما قام رسول الله ﷺ سألتها ما قال لك رسول الله ﷺ؟ قالت: ما كنت أفشي على رسول الله ﷺ سره. قالت: فلما توفي رسول الله ﷺ قلت: عزمت عليك، بمالي عليك من الحق، لمَّا حدثتني ما قال لك رسول الله ﷺ؟ فقالت: أما الآن، فنعم. أما حين سارني في المرة الأولى، فأخبرني «أن جبريل كان يعارضه القرآن في كل سنة مرة أو مرتين، وإنه عارضه الآن مرتين، وإني لا أرى الأجل إلا قد اقترب. فاتقي الله واصبري، فإنه نعم السلف أنالك». قالت: فبكيت بكائي الذي رأيت. فلما رأى جزعي سارني في الثانية فقال: «يا فاطمة! أما ترضي أن تكوني سيدة نساء المؤمنين، أو سيدة نساء هذه الأمة؟» قالت: فضحكت ضحكي الذي رأيت»[٢].

ولزمت الزهراء بجانب أبيها ﷺ لا تبرح، في بيت عائشة، تخدمه وترعاه معها، وتدعو الله عزّ وجلّ أن يخفف عنه الآلام، وروى البخاري عن أنس قال: لما ثقل النبيّ ﷺ جعل يتغشاه فقالت فاطمة عليها السلام: «واكرباه اباه!» فقال

(١) رواه مسلم برقم ٢٤٥٠/٩٧.
(٢) رواه مسلم برقم ٢٤٥٠/٩٨.

لها: «ليس على أبيك كرب بعد اليوم». فلما مات قالت: يا أبتاه، أجاب رباً دعاه، يا أبتاه مَنْ جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه، فلما دفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس، أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب»[١].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «دعا النبيّ ﷺ فاطمة في شكواه الذي قبض فيه، فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها بشيء فضحكت، فسألناها عن ذلك، فقالت سارني النبيّ ﷺ: أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه، فبكيت ثم سارني فأخبرني أني أول أهل بيته يتبعه، فضحكت»[٢].

عن سعيد بن المسيب في رجال من أهل العلم: أن عائشة قالت: كان النبيّ ﷺ يقول وهو صحيح: «إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير» فلما نزل به، ورأسه على فخذي، غشي عليه، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت، ثم قال: «اللهم الرفيق الأعلى». فقلت: إذاً لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح، قالت: فكانت آخر كلمة تكلم بها: (اللهم الرفيق الأعلى)[٣].

ولما فاضت روحه الشريفة، خرج العباس لينعى إلى الناس رسول الله ﷺ فقالوا له: يا عباس ما أدركت منه ﷺ؟ قال: أدركته وهو يقول: «جلال ربي الرفيع قد بلغت» وفاضت مدامع الزهراء بأحر البكاء وبكى المسلمون جميعاً نبيهم الكريم، عليه رحمة الله وصلواته وسلاماته إلى يوم الدين.

مطالبتها أبا بكر رضي الله عنه بإرثها:

ثم ذهبت فاطمة إلى خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه لتطلب ميراثها من فَدَكٍ وسهمه من خيبر فقال لها: إني سمعت رسول الله ﷺ

(١) رواه البخاري برقم ٤١٩٣.
(٢) رواه البخاري برقم ٤١٧٠.
(٣) رواه البخاري برقم ٤١٩٤.

يقول: «لا نورث ما تركناه صدقة». وكلني أعول من كان رسول الله يعول، وأنفق على من كان رسول الله ينفق. لكن الزهراء لم ترضَ.

اعتذار أبي بكر رضي الله عنه عن طلبها:

واعتذر إليها الصديق رضي الله عنه وقال: يا حبيبة رسول الله! والله إن قرابة رسول الله أحب إليَّ من قرابتي، وإنك لأحب إليَّ من عائشة ولوددت يوم مات أبوك أني مت ولا أبقى بعده! أفتراني أعرفك، وأعرف فضلك وشرفك وأمنعك حقك وميراثك من رسول الله ﷺ؟ إلا أني سمعته ﷺ يقول: «لا نورث ما تركناه صدقة».

مرضها ووفاتها:

وأخذت أم الحسنين تستعد للرحيل، فأبوها ﷺ بشَّرها بأنها أول أهله لحوقاً به، وبدأ تفكيرها بالموت يزداد، وبدأ جسمها يذوي من شدة الحزن على فراق أغلى الأحبة وأحنّ أب وأكرم رسول. وغدا أولادها يرنون إليها في جزع وإشفاق. وفتحت عينيها الواهنتين لترى أبا الحسن وقد أخذه الحزن كل مأخذ وأبناءها والدموع قد أنهكتهم، ورغبت في مواساتهم ولكن لم تطاوعها شفتاها من شدة الوهن ووطأة المرض.

وقالت أم رافع: مرضت فاطمة، فلما كان اليوم الذي توفيت فيه، قالت لي: يا أمة: اسكبي لي غسلاً، فاغتسلت كأحسن ما كانت تغتسل، ثم لبست ثياباً لها جدداً، ثم قالت: اجعلي فراشي وسط البيت، فاضطجعت عليه، واستقبلت القبلة، وقالت: يا أمة: إني مقبوضة الساعة، وقد اغتسلت، فلا يكشفن لي أحد كفناً، فماتت، رضي الله عنها.

فجاء علي بن أبي طالب، فأخبرته، فاحتملها ودفنها بغسلها ذلك، بعد أن صلى عليها هو والعباس رضي الله عنهما، ودفناها في البقيع ليلاً تحت أضواء المشاعل.

وليلة الثلاثاء، لثلاث خلون من شهر رمضان سنة إحدى عشرة من الهجرة.

ذهبت الروح إلى ربها راضية مرضية، وأجهش أبو الحسنين وأبناؤه على الراحلة الغالية بالبكاء، ونزل بالمسلمين حزن كبير لأنه هيج مشاعرهم وأحزانهم على فراق أبيها خير المرسلين. وتفجرت مشاعر حزن زوجها علي فوقف يناجي رسول الله ﷺ ويرثي الزهراء أم الحسنين: السلام عليك يا رسول الله، عني وعن ابنتك النازلة إلى جوارك والسريعة اللحاق بك. قلَّ يا رسول الله عن صفيتك صبري، ورقَّ عنها تجلدي، إلا أن لي في التآسي بعظيم فرقتك، وفادح مصيبتك موضع تعز، ولقد وسدتك في ملحودة قبرك، وفاضت بين نحري وصدري نفسك.

إنا لله وإنا لله راجعون. لقد استرجعت الوديعة، وأخذت الرهينة، أما حزني فسرمد، وأما ليلي فمسهد إلى أن يختار الله إلى دارك التي أنت بها مقيم. وستنبئك ابنتك الطاهرة بتضافر أمتك على هضمها، فأخصها السؤال وأستخبرها الحال، هذا ولم يطل العهيد، ولم يحل منك الذكر، والسلام عليكما سلام مودعٍ لا قالٍ ولا سئم، فإن انصرف فلاعن ملالة، وإن أقم فلا عن سوء ظن بما وعد الله الصابرين.

فرحم الله أم أبيها، خير الآباء، وأم الحسنين، فخر الأبناء، وزوج علي أبي الشهداء، ومن هي في الدارين سيدة النساء.